

المسألة الرابعة

أرض الحبشة هي في غرب مكة بين البلدين، صحاري السودان، والبحر الآخذ من اليمن إلى القلزم والقلزم هو البحر الأحمر الآن

من رحمة الله سبحانه وتعالى أن الشدة إذا جاءت أعقبها فرج فكان من الفرج الذي قدره الله عز وجل أن أذن للصحب الكرام في الهجرة إلى أرض الحبشة

اشتد البلاء والأذى جاء بعد أن قويت شوكة المسلمين قليلاً وبدأ الدخول في دين الله تعالى يزداد شيئاً فشيئاً فلم يسر أعداء الله عز وجل باتساع رقعة الاسلام



وقيل ان أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك وهذا القول ليس بقوي

أول من خرج فاراً بدينه إلى الحبشة عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية ابنة رسول الله ﷺ وتبعه الناس

الهجرة إلى الحبشة

من مفارقة بلدانهم رغماً عنهم ولا شك أن هذا نوع من التعب النفسي قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: 66] فقرن الله الخروج من البلد بقتل النفس إذن هذا الأمر صعب، لكنه إذا كان في ذات الله يكون أهون على النفس

لحقت الصحب الكرام مشقة عظيمة في هذه الهجرة المشقة جاءتهم من جهتين

الصحب الكرام رضي الله عنهم ليس لهم خبرة في البحار والخوض في البحر مهول جداً ففي عصرنا هذا الأخطار فيه قائمة فكيف بذلك الوقت؟ مع التواضع الشديد في بناء السفن ونحو ذلك ولكن هذا كله مما يضاعف الله عز وجل به أجورهم

ثمانين رجلاً

عدد

المهاجرين

استغرب ابن كثير على حافظ وإمام في السير، في السير كابن إسحاق كيف ذكر أن من أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس وغاب عنه إن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى جعفر يعفي، ولم يهاجر من مكة إلى الحبشة، لأن أبا موسى لما جاء إلى النبي ﷺ جاء إليه وهو في المدينة لم يأت إليه وهو في مكة وهذا ثابت في الصحيح وقد أنكر عليه الواقدي وغيره من أهل المغازي هذا

آوى وأكرم المهاجرين فكانوا عنده آمنين وكان كافرا في ذلك الوقت قال النبي ﷺ "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" والرجل الفاجر يشمل من كان كافرا ومن كان فاسقاً وقد ثبت أنه أسلم بعد وصلى عليه النبي ﷺ

زعيم المهاجرين
جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه

فائدة: من الحكمة ألا تظهر أنك قوي وأنت لا تبالي بأحد وتجمع من حولك من الأعداء خصوصاً ممن حولك من الدول فإن استطعت أن تكسبهم فافعل وإن لم تستطع فحيدهم يعني يحاول ألا يواجههم النبي ﷺ لما قدم من المدينة وكانت الدولة الإسلامية تأسست بتأسيس ليس بالقوي كان قد صالح اليهود لأن لهم شوكة في ذلك الوقت ثم لما قويت الدولة قليلاً زارعهم على أرض خيبر على نصف ما يخرج منها ثم أبقاهم فيها حيث شاءوا ثم أجلاهم عمر بعد ذلك لما قويت الدولة إلى تيماء وإلى تبوك إلى غير ذلك

ملك الحبشة
أصحمة النجاشي

بعثت في إثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من أجل أن يطلبوا من أصحمة النجاشي أن يضيّق على المسلمين لكن هذه لم تُفلح وصدق في النجاشي قول النبي ﷺ: «إنه ملك لا يُظلم عند أحد» وهذه من المزايا التي يتميز بها الحاكم فإن الله تعالى كما قال ابن تيمية: "يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة ويخذل الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة" فإذا اجتمع مع العدل إسلام، كانت نوراً على نور

الهجرة إلى
الحبشة

فائدة: الكفار لا ينفكون أبداً عن أذية المسلمين قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186]

فقدمت رشوي

فائدة: عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص أسلما بعد فالعبرة ليست بنقص البدايات ولكن بكمال النهايات وأيضاً لا تحقرن إنساناً وتقول: هذا كافر وهذا داعية إلى الضلال، قد مع الدعوة مع حسن التعامل يستجيب ويكون من أعظم أنصار الدعوة يعني عمرو بن العاص ذهب إلى أفريقيا محارباً للإسلام هو الذي فتح الله على يديه مصر وأمره عمر رضي الله عنه على مصر فترة من الزمن

استخدمت قريش
وسائل دنيئة للنيل
من المهاجرين

بدأ النجاشي بالسؤال: "ما يقول هؤلاء، إنكم تقولون في عيسى"

وشوا إليه وزعموا ان الصحابة طعنوا في عيسى وفي دينه لأنهم لا يدرون أن دين الأنبياء واحد كما قال النبي ﷺ: «الأنبياء أبناء علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» إلا أن النجاشي كان ملكاً حكيماً فلقد رأى إعطاء الطرفين فرصة للحوار

فأختار جعفر ما يناسب الموقف وقرأ صدر سورة مريم "كهيعص" لذا فلم يكن من المستغرب أن تنتهي هذه المعركة الحوارية بنصر جعفر وأصحابه على رسل قريش

لما فرغ أخذ النجاشي عوداً من الأرض فقال: ما زاد هذا على ما في التوراة ولا هذا العود" أخذ ينكت عوداً في الأرض ثم قال: "اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي" يعني آمنون "من سبكم غرم، وقال لعمرى وعبد الله، والله لو أعطيتهموني دبراً من ذهب" يعني جبل من ذهب "ما سلمتهم إليكم ثم أمر فردت عليهم هداياهما ورجعا مقبوحين بشر خيبة وأسوئها

فائدة: عند محاوراة النصرانية واليهودية وغيرها اقرأ عليهم شيئاً من القرآن مُبَيِّناً شيئاً من مهام النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ [النمل: 91، 92] ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52] فالجهاد بالقرآن بحججه العلمية بحججه العقلية من أعظم أنواع الجهاد لكن لا يوفق بهذا إلا العالمون ولهذا علينا أن نعنى بتدبر القرآن وفهم معانيه لفهم الحجج والبراهين التي تستطيع بها أن تُلَقِّم هؤلاء حجراً

وشوا إليه وزعموا ان الصحابة طعنوا في عيسى وفي دينه لأنهم لا يدرون أن دين الأنبياء واحد كما قال النبي ﷺ: «الأنبياء أبناء علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» إلا أن النجاشي كان ملكاً حكيماً فلقد رأى إعطاء الطرفين فرصة للحوار

استخدمت قريش وسائل دنيئة للنيل من المهاجرين

الهجرة إلى الحبشة

كان إسلامه دفعة قوية للمسلمين لأن حمزة رضي الله عنه هو العم الثاني من أعمام النبي ﷺ الذين أسلموا

اسلام حمزة

ألا يبائعوهم ألا يناكحوهم ألا يكلموهم
ألا يجالسوهم حتى يُسلموا إليهم
رسول الله ﷺ فأبوا

انتشر الإسلام فساء قريش ذلك وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف على بنود المقاطعة وترتكز على أربعة أمور:

بنو عبد مناف هو والد "هاشم الجد الثاني للنبي ﷺ" وكان له أربعة أبناء: عبد شمس والمطلب ونوفل وهاشم حُوصِرَ المطلب وهاشم بينما عبد شمس ونوفل هؤلاء انحازوا مع بقية بطون قريش، قال ﷺ: «نحن وبني المطلب لم نفترق في جاهلة ولا في إسلام» فكان من آثار هذه النصرة فيما بعد الزكاة إنما تحرم على بني هاشم، وبني المطلب فقط، أما بنو نوفل، وبنو عبد شمس، فليسوا ممن تحرم عليهم الزكاة، مع أنهم أبناء رجل واحد، وهو عبد مناف

بنو عبد مناف وبني المطلب هنا ليسوا كلهم جميعاً مسلمين لكن في تلك الفترة كانت الحماية العصبية والقبلية لها أثر في نصرة الدعوة كما قال الله عن شعيب: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ [هود: 91] فانحازوا جميعاً إلى الشعب مسلمهم وكافرهم إلا أبا لهب قَبَّحه الله

المقاطعة الاقتصادية

كتبوا بذلك صحيفة وعلَّقوها في سقف الكعبة ويُقال إن الذي كتبها منصور بن عكرمة فدعا عليه النبي ﷺ فشُلَّتْ يده

سَمِعَ أصوات الأطفال من الجوع حتى إن بهائمهم بعضها مات وبدأ بعضهم يأكل في ورق الشجر

مدتها: ثلاث سنوات

جزا الله عنَّا عبدَ شمس ونوفلا /عقوبة شرَّ عاجل غير أجل* *بميزان قسط لا يغيض شعيرة/له شاهد في نفسه حق عادل* *ونحن الصميم من ذآبة هاشم/وآل قصي في الخطوب الأوائل* *لقد علموا أن ابننا لا مُكَدَّبٌ لديهم/ولا يُعْنَى بقول الأباطل

كتب أبو طالب قصيدته المشهورة

القائم في ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب كان أحد كبار قريش وليس من بني عبد مناف لكنه رجل عاقل منصف شجاع كريم

سعي هشام في ضم المطعم بن عدي له وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها

أخبر النبي ﷺ قومه أن الله أرسل على هذه الصحيفة التي علقت أرضة، وهي نوع من النمل وأظنه النمل الأبيض، فأكلت كل ما في الصحيفة إلا ما فيه ذكر الله عز وجل فلما أرادوا أن ينقضوا الصحيفة وجدوا ما فيه شيء فرجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة وحصل الصلح برغم من أبي جهل قبحه الله

نقض
الصحيفة

المقاطعة
الاقتصادية

السكران بن عمرو رضي الله عنه زوج سودة بنت زمعة التي تزوجها النبي ﷺ بعده فإنه مات بعد مقدمه من الحبشة بمكة قبل الهجرة إلى المدينة هنا خطبها النبي ﷺ فصارت أمًّا للمؤمنين

سلمة بن هشام وعيَّاش بن أبي ربيعة وذلك أنهما احتبسا في مكة مستضعفين

عبد الله بن مخرم بن عبد العزى فإنه حُبس فلما كان يوم بدر هرب من المشركين إلى المسلمين

لما رجع النبي ﷺ ببني المطلب وبني هاشم إلى مكة وصلت الأخبار إلى أهل الحبشة وظنوا أن قريشًا أسلمت بسبب فك الحصار ولم يكن شيء من ذلك ولا يبعد أن يكون بعض القرشيين أثار هذه الشائعة من أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من هؤلاء ليسوموهم سوء العذاب فقدم مكة منهم جماعة فوجدوا البلاء والشدة كما كانت فاستمروا بمكة إلى أن هاجروا إلى المدينة إلا أربعة

ماتا بعد نقض الصحيفة بعض العلماء يقول: بينهما 53 ليلة ولكن أكثر المحققين على أن بينهما 3 أيام

هذا لا شك أنه بلاء أن يموت عمك ثم تموت زوجتك قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، يُبْتَلَى المرء على قدر دينه»

موت خديجة
وموت أبي طالب

اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه وأقدموا عليه بالأذى فخرج إلى الطائف لكي يؤووه وينصروه على قومه

فائدة: الداعية إذا وجد الأبواب أغلقت في مكان أو في مشروع أو في جهة معينة فإنه يجتهد ويبحث عن موضع آخر ليبلغ فيه دين الله سبحانه وتعالى

دعى ﷺ أهل الطائف إلى الله عز وجل فلم يجيبوه إلى شيء من الذي طلب بل آذوه أذىً عظيمًا لم ينل قومه منه أكثر مما نالوه منه فرجع عنهم

الخروج إلى
الطائف

ورد في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله هل مر بك يومٌ أشد عليك من يومٍ أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وأشد ما لقيت من ابن عبد يا ليل» الذي هو كنانة «ابن عبد يا ليل، ابن عبد كلاب، عند العقبة»، وهي عقبة من عقبات الطائف لأنه كان سيدًا في قومه، وهذا الرجل أسلم في عام الوفود ولكنه في تلك المرة كان من أعداء الله ورسوله فسمع منه من الأذى ما سمع، وكان صبيان أهل الطائف يرمونه بالحجارة ﷺ حتى أدموا عقبه الشريفتين

يقول: «فخرجت مهمومًا، فلم أستفق إلا وأنا في قرن الثعالب» قرن الثعالب بينها وبين الثعالب ثلاثين كيلوا مشاها ﷺ وهو لا يدري من الهم الذي ركبه والأذى الذي لحقه فلما وصل إلى قرن الثعالب أفاق، فلجئ إلى الله عز وجل وساله التوفيق والتسديد كما جاء بسند حسن: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» ثم جاءه كما في الصحيح ملك الجبال بعد، فقال: "لقد سمع الله عز وجل مقالة قومك لك وإنني ملك الجبال فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين" الأخشب هو الجبل العظيم، ومكة تقع بين جبلين عظيمين، جبل أبي قبيس، وجبل قعيقعان فقال: «لا، إني أستنني بهم» يعنى أنتظر «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يُعبد الله» وصدق ﷺ

فائدة: الداعية لا ينتصر لنفسه فلو قلب الدعوة إلى تصفية حسابات شخصية تفسد دعوته ثم يتوقف أما الذي همَّه معلق برضا الله سبحانه وتعالى وهمَّه أن يستجيب الناس لأمر الله سبحانه وتعالى وإن أؤذي هو في ذات الله فإنه لا يتوقف بل يصفح عن من أخطأ عليه، ويعفو عن من ظلمه، كما فعل -عليه الصلاة والسلام- في مكة، حينما فتحها، ودخلها مؤزرًا منصورًا، فيوضع صناديد الكفر كلهم تحت قدميه الشريفتين -صلى الله عليه وسلم-، فيقول لهم بكل قوة واقتدار: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»، فيقول: أخ كريم وابن أخ كريم، يقول: «أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»

دخل في جوار المطعم بن عدي مع أنه كان كافرًا في ذلك الوقت لكن يجمعهم عبد مناف فالمطعم جده نوفل وﷺ جده هاشم وقد مات كافرًا لكن النبي ﷺ لم ينس معروفه وأراد أن يعبر عن شكره لما انتهت غزوة بدر وجاء هؤلاء الأسرى بين يديه قال: «لو كلمني المطعم بن عدي في هؤلاء الأسرى، أن أطلقهم له لأطلقتهم له» مع أن المطعم مات كافرًا كما سبق لكنه ﷺ سيد ولد آدم في الخلق وفي الوفاء وفي حفظ العهد وشكر المحسن

العرب عندهم عادة وهو أن الإنسان إذا كان مطرودًا من جماعة أو من قبيلة أو من بلد فمن الأعراف عندهم أنه يُرسل إلى سيد من سادات تلك البقعة فيقول له: أنا أدخل في جوارك هذه كلمة مُعظَّمة عند العرب فحتى ولو كان بينك وبين الطرف المُجار عداوة مادام دخل في جوار رجل فإن الاعتداء عليه اعتداء على من أجاره ولهذا في حديث أم هانئ في الصحيح لما أجارت ابن عمها، لما أهدر النبي ﷺ دماء أناس وكان ممن قدم أحد أبناء عمها، فقالت: يا رسول الله، إن فلانًا يزعم أنه قاتل فلانًا وقد أجرته فقال: «قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ» ولذلك العلماء نصوا على أن من دخل في جوار مسلم أو في ذمة مسلم وعهد مسلم ولو كان عبدًا يُباع ويُشترى فإنه لا يجوز خفَرُ عهده وذمته

دخل ﷺ مكة
في جوار المطعم
بن عدي

أرسل المطعم أربعة من أبنائه يستقبلون النبي ﷺ عند مدخل مكة وهو قادم من الطائف يحيطونه كما يحاط العظماء ولسان الحال: من ولدته أمه فليقترب من محمد لأنه دخل في جوار المطعم بن عدي

من قبيلة دوس في جنوب المملكة

دعا له رسول الله ﷺ أن يجعل له آية فجعل الله في وجهه نوراً فقال: "يا رسول الله أخشى أن يقولوا: هذه مُثْلَةٌ" يعني عيب خلقي، فدعا له فصار النور في صوته فهو المعروف بذي النور

دعا الطفيل قومه إلى الله فأسلم بعضهم

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

ذكر أن الطفيل بن عمرو أقام في بلاده فلما فتح الله على رسوله خبير سنة سبع للهجرة في شهر المحرم قدم بهم في نحو من ثمانين بيتاً الآن لو أردت أن ترجع قبائل زهران وغامد وعدد من القبائل التي في السعودية لأرجعت إليهم ملايين، كلهم يعود الفضل في إسلامهم بعد الله عز وجل إلى هذا الرجل فلا تحقرن شيئاً قد يُسلم على يدك واحد الآن ثم يُسلم على يد هذا الرجل آلاف من الناس

على الإنسان أن يكون حمالة ورد ناقلاً للهدى داعياً إلى الله عز وجل ولو لم يكن حافظ للقرآن وللصحيحين فلا يلزم أن يكون عالماً كبيراً حتى يمارس الدعوة لكن المهم لا يدعو إلى الله عز وجل إلا بما يعلمه فإن عجز عن الكلام فليكن لسان حاله داعياً إلى الله عز وجل بحسن خلقه وحسن كلامه وتعامله مع الوالدين أدائه للشعائر كفه عن الحرام

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]

وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «بلغوا عني ولو آية»

النبي ﷺ في أول أمره من الأشياء التي كسب فيها قلوب كثير من الناس هو حسن خلقه

ما يضيق على الداعية شيء إلا ويجعل الله له مخرجاً لكن هذا المخرج قد يكون زمانياً قد يكون مكانياً قد يكون نصرةً بشخص أو غيره

أعداء الإسلام لا يألون جهداً في مضايقة المسلمين وأذيتهم ومحاربتهم سواءً في أماكنهم أو حتى يلاحقونهم في أماكن أخرى ولئن كانوا سابقاً يُرسلون أشخاص فإنهم اليوم يُرسلون رسائل عن طريق الإنترنت وعن طريق وسائل الإعلام من أجل إضلال المسلمين

أثر الدعوة في القرآن الكريم كما في قصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فالإنسان بقدر علمه بالقرآن تكون دعوته أقوى وأسد

الحصار والأذى أسلوب من الأساليب التي يجتهد الكفار في إلحاقها بالدعاة وبالمسلمين لكن يتبين لنا من مجريات السيرة أن العاقبة للمتقين ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَى﴾ [طه: 132]

فوائد